

الناصرية والدين

الحلقة الثانية

مقدمة :

في الحلقة الأولى سلطنا الضوء على الإسلام في فكر جمال عبد الناصر باعتباره قائد عملية التغيير، وعلى المفاهيم الرئيسية التي حرص على تثبيتها ورأى أهميتها في تدعيم بنية المجتمع وتحسينه والنهوض به ، وكان في مقدمتها اعتماده التفريق بين الدين والفكر الديني، وبنائه وحدة الوطن على مفهوم المواطنة، وبحثه عن وحدة المسلمين وتضامنهم، واعتماده سبيل التقريب بين المذاهب الإسلامية تأكيداً لتلك الوحدة وحفظاً لقوة المسلمين، ثم ختمنا الحلقة الأولى بالوقوف على الفطرة الإيمانية التي ملكها جمال عد الناصر وأهميتها باعتبارها التعبير الأصيل وغير القابل للتزوير والمخادعة عما يختزنه الفرد من توجه إيماني ، وفي هذه الحلقة وهي الثانية ننظر إلى الإسلام في معارك ثورة يوليو وسياساتها

الحلقة الثانية

الإسلام في معارك ثورة يوليو

في العلاقة بين الدين وثورة يوليو كان توجه قيادة الثورة إلى إظهار قوة التغيير الثورية التي يحملها الدين عموماً والدين الإسلامي على وجه الخصوص، ولم تقدم الثورة على الالتجاء إلى الدين ومصطلحاته ومخزونه الشعبي والتاريخي والفقهية إلا في إطار هذه القوة الثورية ، وذلك عن إيمان أصيل لديها بأن هذا هو جوهر رسالة السماء وبأن تاريخ هذه الرسالة في حضارتنا العربية الإسلامية جسد دائماً هذا المعنى، ومن هنا فإن استخدامه لهذه القوة العظيمة لم يأت من قبيل الاستخدام السلبي، أو الاستخدام الغيبي ، وإنما من قبيل الاستخدام الاجتماعي التغييرية، فلم يعرف عن الثورة وقائدها أن ذهباً في اتجاه تكفير الخصم، وإنما في اتجاه إظهار ظلمه، أو عدم أمانته، أو استبداده، أو تعاونه مع الأجنبي تعامل استنباغ وانصياع، أو تبذيره وإضاعته لأموال الأمة وثرواتها، إن هذا الزاوية في التعامل مع قوة الدين في معارك الحياة تتناسب تماماً مع ما أشرنا إليه من أن الثورة نظرت للإسلام باعتباره قوة تغيير كبرى.

ومن هذه الزاوية كانت نظرة الثورة إلى الأدوات والأجهزة الدينية المتوفرة في المجتمع، إنها أعادت النظر فيها من هذه الزاوية بالتحديد، كما أعادت النظر في كل أجهزة الدولة لتتنسق مع مشروعها الثوري، ويقر الدكتور حسن حنفي في كتاب عبد

الناصر بقلم رفاقه ومعاصريه قائلاً : "لقد ظهر البعد الثوري للدين في معظم المعارك التي دخلها جمال عبد الناصر "

ومما تجدر ملاحظته قبل تتبع مسار هذه الاستخدامات أنه لا يذكر لأي قوة سياسة داخل مصر، ولا لأي معركة إعلامية أو دعائية بين البلدان العربية والإسلامية أن جعل الإسلام سلاحاً يستعين به الخصمان كل في مواجهة الآخر قبل هذه المرحلة رغم فساد الأنظمة السابقة على ثورة يوليو، ورغم طبيعة الأنظمة العربية وأنظمة العالم الإسلامي التي كانت سائدة في تلك المرحلة، إن هذه الملاحظة نذكرها للتدليل على أن المعارك التي خاضتها دول المعسكر المعادي ورفعت فيها رايات الدين بغير حق لم تكن بسبب موقف عبد الناصر من الدين عموماً وإنما بسبب نظريته " الثورية " للدين وأثره ودوره في المجتمع وبسبب سياساته وتوجهاته وخياراته داخلياً وعربياً ودولياً، وقد تستر هؤلاء بالقضية الدينية ظلماً وعدوانياً واستخداماً معيباً لأسمى ما يمتلكه الفرد والمجتمع .

كما أنه مما تجدر ملاحظته أن استخدام الثورة لسلاح الدين في مواجهة تنظيمات ودول عربية وإسلامية لم يكن أبداً بمبادرة من نظام الثورة وإنما جاء رداً على استخدام مسبق من هذه الجهات لهذا السلاح، لقد استخدم عبد الناصر المسألة الدينية بإجمالها كقوة تغيير، فأبان ما يخزن هذا الدين من طاقات الثورة والتغيير، أي أنه استخدمه استخداماً إيجابياً في توضيح انتماء انحيازات الثورة داخلياً وخارجياً وفي المستويات كلها إلى مخزون قيم الدين وتجربته التاريخية، لكنه لم يجعله سلاحاً في وجه الآخرين، وقد اضطرت الثورة إلى ذلك فقط حينما استخدم الآخرون الدين في الهجوم على الثورة ومحاوله تجريدتها من هذه القوة العظيمة، ومحاوله حرق هذه القوة وجعلها مؤيدة لواقع الاستغلال والاستعباد والاستبداد والتبعية للخارج .

في صلب التغيير الذي راح ينادي به قائد الثورة ارتفعت شعارات :

- ** العدالة الاجتماعية لأوسع جمهور ممكن ، وبأوسع مفهوم ممكن
- ** الوحدة الوطنية باعتبارها قوة البناء الوحيدة القادرة على تحمل مشروع الثورة
- ** حشد الطاقات الشعبية من خلال تشكيل كتلة اجتماعية كبرى ذات مصلحة بالتغيير
- ** استقلالية الإرادة الوطنية ، وتعبيرها عن المصلحة الوطنية والقومية
- ** القيام بواجبات عبقرية المكان على مختلف المستويات : العربية والإسلامية والإفريقية ، والدولية .

وفي كل مسألة من هذه المسائل طُرحت مفاهيم وأفكار احتكت مع ما استقر في فكر جمال عبد الناصر وضميره دينياً، فوجدت لها سنداً، أو بحثت لها عن سند، أو حركت أداة دينية لدعمها، أو تجاوبت معها أداة دينية :

١- في مسألة العدالة الاجتماعية ، وتصحيح الميزان الاجتماعي، طرحت قضية الإصلاح الزراعي، وتحديد الملكية، وكانت هذه فاتحة التغييرات على صعيد النظرة إلى الملكية الخاصة وعلى صعيد دورها في تنمية المجتمع، هذه النظرة التي تطورت لديه حتى استقرت أخيرا في مفهوم اشتراكي خاص يقوم على ثلاثة أنماط من الملكية

** الملكية الخاصة

** الملكية التعاونية

** الملكية العامة

هذه المسألة حركت وحرزت أفكارا عديدة راحت تبحث عن أصولها في تراث الأمة عموما، وفي تراثها الديني على وجه الخصوص، فقها وتطبيقيا، ويكثر هنا حديث جمال عبد الناصر عن أبي ذر، وعمر رضي الله عنهما، وعن شركة المسلمين في الماء والكلاء، وعن مقصد العدل في الإسلام الذي هو من أهم خصائص هذا الدين، ويشدد في هذا المجال على مفهوم ودور الملكية الخاصة بوصفها وظيفة اجتماعية. والاستشهاد على ذلك ممتد في الحوارات التي أجراها عبد الناصر مع أعضاء المؤتمر الوطني الجامع الذي أقر الميثاق الوطني عام ١٩٦٢، وفي كل حواراته اللاحقة التي اختصت بشرح المسار الاشتراكي والتنمية للثورة.

ولقد جعل هذا الموضوع في مقدمة ما بحثه مجمع البحوث الإسلامية في مؤتمره الأول عام ١٩٦٤ والذي حضره علماء وفقهاء يمثلون ٤٢ دولة إسلامية وجاء فيه " يقرر المؤتمر بعد الدراسة المستفيضة لموضوع الملكية أن حق التملك والملكية الخاصة من الحقوق التي قررتها الشريعة الإسلامية، وكفلت حمايتها، .. وأن من حق أولياء الأمور في كل بلد أن يحدوا من حرية التملك بالقدر الذي يكفل درء المفساد البيئية ، وتحقيق المصالح الراجحة، وأن أموال المظالم وسائر الأموال الخبيثة، والأموال التي تمكنت فيها الشبهة، على من في أيديهم أن يردوها إلى أهلها، أو يدفعوها إلى الدولة، فإن لم يفعلوا صادرها أولياء الأمور، ليجعلوها في موضعها وإن لأولياء الأمور أن يقرروا من الضرائب على الأموال الخاصة ما يفي بتحقيق المصالح العامة ... يقرر المؤتمر أن موضوعات الزكاة والموارد المالية في الإسلام، وطرق الاستثمار وعلاقتها بالأفراد والمجتمعات، وحقوق الملكية العامة والملكية الخاصة من بين موضوعات الساعة، لأنها ملتقى شعبتين من شعب الشريعة الإسلامية، وهما العبادات والسلوك الاجتماعي، ويقرر أن تكون هذه الموضوعات محور نشاط المجمع في دورته القادمة "

٢- وفي مسألة الوحدة الوطنية يتحدث عبد الناصر عن ضرورة التلاحم بين عناصر الأمة، وكيف يحارب الإسلام الطائفية، ويسلط الضوء على حقيقة الغزو الصليبي، وكيف أنه تستر بستر الدين.

إن وحدة الجبهة الداخلية واستخدام المخزون الشعبي من القيم والأفكار والمبادئ كانت من العناصر الرئيسية التي عمل على تحقيقها لذلك نراه يقف على منبر الأزهر الشريف لينادي الأمة أن تدافع عن كرامتها، ويطرح شعاره في مواجهة العدوان الثلاثي : "سنقاتل"، ويقف أمام أرض خصصتها الدولة لبناء كنيسة رئيسة " كاتدرائية " في القاهرة ليجسد معنى الوحدة الوطنية، يقول عبد الناصر في هذه المناسبة " على مر العصور كان المسيحيون والمسلمون أخوة منذ عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ". ويقول " إن الثورة تنظر إلى العلاقة بين الأديان من منطلق المحبة والإخاء والمساواة، وأنه بتكافؤ الفرص يمكن خلق المواطن القوي الذي لا يعرف للطائفية معنى ولا يحس بها، بل يحس بالوطنية التي يشعر بها الجندي في ميدان القتال "

وحيثما يتحدث عن ثورة ١٩١٩ يبرز معاني الوحدة بين عنصرى الأمة : المسلمين والمسيحيين

٣- وفي الاستجابة لحاجات المسلمين في مختلف أنحاء العالم جاءت فكرة تطوير الأزهر، والعمل على جعله يلبي احتياجات المجتمع الإسلامي في أن يتوفر لديه علماء في مختلف شؤون الحياة وقد توفرت له معرفة دينية صحيحة ، والذي يراجع الجاني التاريخي في عملية تطوير الأزهر التي جرت في مصر على قاعدة القانون رقم ١٠٣ لعام ١٩٦١ سوف يكتشف أن لم يأت لتلبية حاجة داخلية كان الأزهريون والأزهر يتطلبها فحسب وإنما جاءت تلبية لحاجة إسلامية أبلغها قادة المجتمع الإسلامي للرئيس عبد الناصر حينما كان في زيارة لإندونيسيا ن وقد ثبت هذا الاستهداف في المذكرة الإيضاحية التي قدمت للقانون والتي جاء فيها :

"والإسلام في حقيقته لا يفرق بين علم الدين وعلم الدنيا ، لأنه دين اجتماعي ينظم سلوك الناس في الحياة ليحيوا حياتهم في حب الله عاملين مؤثرين في المجتمع في ظل طاعة الله ، ولأن الإسلام يفرض على كل مسلم أن يأخذ بنصيبه من الدين والدنيا : فكل مسلم يجب أن يكون رجل دين ورجل دنيا في وقت معا ، والله في يقين المسلم اقرب إليه من جبل الوريد ، يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ، فليس في حاجة إلى شفيع أو وسيط يقربه إليه ... وفي كثير من البلاد التي تخلصت حديثا من ربقة الاستعمار رغبة في التخطيط للبناء والعمل والإنتاج في مجالات الصناعة والتجارة والتعدين والتعليم والصحة وغيرها من أسباب النهوض ، وحين تلتمس الخبراء من كل نوع من أنواع هذا النشاط ، لا تكاد تجد إلا أجنب عن بيئتها ودينها ، من المواطنين وغير المواطنين، وحين تلتمس من المواطنين خبراء يملكون مع الخبرة معارف دينية صحيحة وعقيدة واعية لا تكاد تعرف أين توفدهم ليتعلموا ويستفيدوا الخبرة والمعرفة والعقيدة وهي عناصر ثلاثة ضرورية لتستكمل هذه البلاد نهضتها ، وتمضي في وجهها على الطريق السوي "

وقد استكمل هذا التطوير بتشكيل مجمع البحوث الإسلامية ليضم علماء من كافة بلاد المسلمين ، ولتكون من مهامه مناقشة وبحث كل ما يخص عملية الاجتهاد ، ومواجهة الظروف التي يمر بها المجتمع الإسلامي بموقف إسلامي أصيل ومبدع ، وكان نظير هذا المجمع من سابق مقتصر على العلماء المصريين ، كذلك استكمل بإنشاء مدينة البحوث الإسلامية التي صارت تستقبل نحو عشرة آلاف دارس من مختلف الأقطار الإسلامية كانوا يدرسون وقيمون على حساب الأزهر الشريف قبل أن يعودوا الى بلادهم وقد حملوا نسبا مختلفة من علوم الدين والدنيا، كما حملوا ارتباطا وثيقا بهذه الأمة ونهضتها ومشروعها المستقبلي الذي يعدهم بالكثير ويوفر لهم الكثير.

٤- وفي علاقته مع قوى التغيير الثورية الإسلامية جسدت سياسة عبد الناصر هذه الرؤية الدينية ، وكشفت عن معرفة وإدراك لمفاعلات هذه المسألة على صعيد التغيير الاجتماعي وعلى صعيد التماسك الوطني، وظهر هذا واضحا في سياساته الإفريقية وفي سياسته تجاه الثورة الإيرانية وكانت في حينها وليدا يتشكل في رحم المجتمع الإيراني.

إن موقف عبد الناصر وسياساته في أفريقيا وتجاه إيران تستحق دراسة مستقلة لأنها تكشف تماما عن فهمه للقضية الدينية داخل المجتمع المسلم ولأثر التناقضات المذهبية على وحدة هذا المجتمع وإمكاناته على التغيير والنهوض، كما تكشف عن طريقته في تقييم ظواهر وتجليات الوجود والفاعلية الإسلامية ومؤسساتها في هذه البلدان وما تختزنه من إمكانات بناءة، وما قدمته من ذلك على مدى تاريخ وجودها، وسأكتفي في هذا المجال باستعراض بعض هذه السياسات استنادا لشهادة من كانوا مكلفين بتنفيذها ، وقد وضعوا شهاداتهم هذه موثقة في كتب صدرت بعد رحيل قائد الثورة وبعد هزيمة الثورة وسيطرة القوى المضادة.

أ - ففي الشأن الإيراني: عرض فتحي الديب في كتابه عبد الناصر والثورة الإيرانية عرضا دقيقا وتفصيليا لمراحل اتصال الثوار الإيرانيين بالقاهرة مشيرا الى أن مجلس الرئاسة في مصر قرر الدعم الرسمي للثورة مكلفا بذلك عضو مجلس الرئاسة كمال الدين رفعت بمتابعة هذا الملف الذي يشرف عليه السفير فتحي الديب ، وأن جمال عبد الناصر في حديثه للسفير الديب طلب منه أن يتعرف وبشكل واضح من الإيرانيين على موقفهم من القضايا التالية:

- ** موضوع نظام الحكم الاقتصادي والاجتماعي بعد نجاح الثورة.
- **موقفهم من المصالح الأجنبية الموجودة حاليا في إيران.
- **الموقف من فكرة القومية العربية.
- ** الموقف من المشكلة الكردية.
- ** الموقف من الشيعة في العراق.
- ** الموقف من إسرائيل.
- ** الموقف من الخليج العربي وما أثاره الشاه من قضايا الحدود.

وذكر فتحى الديب أن الإجابات على هذه الأسئلة جاءت من قيادة حركة الحرية في الداخل في خمس عشرة نقطة ذكرها في الكتاب تتوافق مع الرؤية التي يتطلع إليها عبد الناصر ، وقد انطلق التعاون عقب ذلك شاملا وسريعا وبرزت في الاتصالات وخطط التحرك وتبادل الآراء والأفكار أسماء : أية الله الخميني ، أية الله شريعة مداري، أية الله ميلاني ، والزعيم الديني المسجون محمود طالقاني ، وأية الله الخوئي الموجود في النجف .

في الفترة من ٩ إلى ١٥ يناير ١٩٦٤ عقدت مجموعة اجتماعات بين المسؤولين في القاهرة وبين وفد قيادة حركة حرية إيران المؤلف من مصطفى شميران - الذي صار لاحقا وزيرا للدفاع " وبهرام راستين، وابراهيم يازدي، وعلي شريفان رضوي ، وبارفيز أمين، واتفق معهم على كل جوانب خطط التحرك الإعلامية والعسكرية والسياسية ، ووضعت خطط التدريب .

وفي إطار هذا التطور في العلاقة قدمت القاهرة للثوار مختلف أنواع الدعم ، وساهمت في إنشاء إذاعتين للثوار الإيرانيين واحدة في لبنان والأخرى في أفغانستان، كما قدمت لهم مستلزمات التحرك من جوازات سفر إلى أموال إلى التدريبات المختلفة ، وقد وثق الكتاب ذلك كله .

ما أريد أن اختتم به وثائق هذه المرحلة هو الميثاق الذي قدمه مندوبو الحركة الخمسة إلى قيادة ثورة يوليو، ميثاق عمل للثورة يحددون فيه رؤية الحركة للمستقبل، والميثاق بقدر ما يحدد فكر الثورة الإيرانية في ذلك الحين فإنه يحدد أيضا فكر عبد الناصر وآفاق تطلعه في مجال العالم الإسلامي ويجب على الأسئلة التي طرحها عبد الناصر سابقا .
نص الميثاق :

القاهرة في ١٥ / ١ / ١٩٦٤

" يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبون مئتين ، وإن يكن منكم مئة يغلبون ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين ، وإن يكن منكم ألفا يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين " (سورة الأنفال ٦٥، ٦٦)
" لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا " (سورة الفتح ، الآية ٢٧)

" ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله والرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم " (سورة التوبة ، الآية ٩٩)

صدق الله العظيم

باسمه تعالى

بناء على أن انتصار الشعوب الإسلامية الأخوية واعتلاء كلمتهم أصبح مرتبطا معا ، ارتباطا قويا ، وبناء على ضرورات تنفيذ التعاون والمساندة بين هؤلاء الشعوب أنفسهم للتخلص من نير الاستعمار والإمبريالية ، نحن خمسة أشخاص من حركة الحرية الإيرانية اجتمعنا في القاهرة في الفترة ما بين ٩ / ١ / ١٩٦٤ و ١٥ / ١ / ١٩٦٤ وبعد المباحثات التي أجريت هنا مع المسؤولين نقدم الآن أصول مبادئنا الفكرية والعقائدية إلى إخواننا في الله والإيمان كآلاتي ، ومنه التوفيق :

في حقل السياسة الداخلية

- ١- إيجاد جمهورية ديموقراطية اشتراكية، من أجل إبادة الحكم الفردي المستبد وتنفيذ حكومة الشعب على الشعب
- ٢- تنفيذ الاشتراكية من أجل تمزيق الإقطاع، وتنفيذ عملية تصنيع البلد، ومنع الاحتكارات الصناعية ، وأخيرا توزيع الثروات بين الشعب بطرق عادلة
- ٣- تنفيذ الديموقراطية مع الاشتراكية مبنيا على العقيدة بالله وتعبده وعلى أصول ومبادئ الإسلام

في حقل السياسة الخارجية

- ١- مساندة الأمم المتحدة ، والتعاون الوثيق مع الشعوب غير المنحازة والمحايدة وكتلة الدول الأفرو-آسيوية
- ٢- مساندة جميع الكفاحات الموجهة ضد الاستعمار في العالم
- ٣- تنفيذ سياسة عدم الانحياز والحياد الايجابي ، وعدم الاشتراك في الصراع الموجود بين الكتلتين الشرقية والغربية ، وطردهم الأحلاف العسكرية الاستعمارية ، مثل الحلف المركزي
- ٤- إقامة صلات وعلاقات قوية ووطيدة مع الشعوب المسلمة في العالم
- ٥- إقامة صلات وروابط قوية والتعاون الجاد والوثيق مع الدول الإسلامية المتحررة والمنبثقة من الشعوب
- ٦- التعاون وتدعيم وحماية حركة الثورة القومية العربية في سبيل الوحدة العربية وطردهم قاعدة الاستعمار " إسرائيل "

٧- بناء على أن إلها واحد وكتابنا واحد ورسولنا واحد، نحن نستنكر إثارة اختلافات بين المذاهب الإسلامية خاصة بين السنة والشيعة ، ونعتقد أن الاختلافات بين السنة والشيعة - وكل خلاف عنصري - يجب أن لا يكون مانعة من الوحدة العربية ، كما أنه يجب أن لا تكون ضارة بكيان الأقطار الموجودة حاليا واستقلالها ، ونحن نبذل قصارى جهدنا في سبيل الوحدة الحقيقية بين جميع المسلمين والله على ما نقول شهيد ، والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .

بارفيز أمين - مصطفى تشمران - بهرام راستين - علي شريفان رضوي - إبراهيم يازدي .

توقيعات

ب - في سياسة الثورة تجاه إفريقيا ومسلميها : وهي السياسة التي تولى تنفيذها ومتابعة الشطر الأهم منها "محمد فائق"، بتكليف وعلاقة مباشرة مع جمال عبد الناصر، يسجل فائق في كتابه " عبد الناصر والثورة الأفريقية "سياسة عبد الناصر الاسمية في أفريقيا، وهي سياسة تكشف عن مخزون القوة الذي وفره الإسلام للمجتمعات الإفريقية، ويشير فائق في هذا الكتاب الى أن منهج عبد الناصر في التعامل مع القوى المختلفة والإسلامية والوطنية في الدول الإفريقية التي ما زالت تحت الاحتلال كان البحث عن عوامل الوحدة التي تحقق لها التحرر ، وأن هذه السياسة هي واجهه إليها عبد الناصر حينما كلفه بملف الصومال والملفات الإفريقية الأخرى.

وقد جعل فائق في كتابه فصلا مستقلا - هو الفصل الرابع - تحت عنوان ملامح إسلامية للسياسة مصر الإفريقية، تناول فيه مساعدات مصر لمسلمي أفريقيا بمختلف دولهم، واثر هذه المساعدات على سياسات هذه الدول وفصل في الموقف من أرتيريا والأرتيريين ، وأفرد للمساعدة التي قدمها جمال عبد الناصر لنيجيريا لمواجهة محاولة فصل إقليم بيافرا عام ١٩٦٧،

وكما فعلت مع الثورة الإيرانية فإني هنا اقتبس نصوصا من كتائب فائق تظهر هذه السياسات وتكشف دوافعها ومغازيها.

يقول فائق :

" وقد أقام عبد الناصر الكثير من المساجد في أفريقيا أو ساهم في بنائها من خلال الجمعيات الإسلامية العديدة المنتشرة في كل أنحاء القارة كما أنشأ المراكز الإسلامية التي تجمع المسجد مع المدرسة وتقدم العلاج المجاني ، ووجهت مصر إلى أفريقيا إذاعة القرآن الكريم على موجة قصيرة كما خصصت إذاعة لتعليم اللغة العربية حيث لوحظ أن معظم المسلمين في القارة وخصوصا في شرق أفريقيا يقرأون القرآن بحروفه العربية دون معرفة باللغة نفسها، وكان من السهل عليهم تعلمها بعد ذلك بالراديو وخاصة أنهم يعتبرون تعلمها جزءا مكملًا

لديهم ، ووزعت أعداد هائلة من كتب تعلم العربية بالراديو وكان الإقبال عليها مذهلاً.

وخصت المنح الدراسية لإفريقيا في جميع الميادين بما في ذلك الأزهر الشريف والجامعات والمدارس الأخرى وكان هناك اهتمام خاص بالمناطق الإسلامية ، فعلى سبيل المثال كانت لمنح مفتوحة لأرتيريا من عام ١٩٥٥ بحيث لا يرد أي طالب علم يأتي من أرتيريا، وأعطيت التعليمات لأجهزة الأمن على الحدود بالأيمن أي أرتيري من دخول الأراضي المصرية حيث كان الأرتيريون يحضرون إليها سيرا على الأقدام للالتحاق بالأزهر وذلك نتيجة للاضطهاد الذي كانوا يلاقونه أثناء حكم الإمبراطور هيلاسلاسي حتى أنه طلب من جمال عبد الناصر - في إحدى زيارته لمصر - أن تقدم المنح المخصصة للأرتيريين في الأزهر عن طريق الحكومة الإثيوبية ولكن عبد الناصر رفض متحججا بأنه لا يستطيع التدخل في شؤون الأزهر

.....

ورغم أن الدين الإسلامي هو أوسع الأديان انتشارا في أفريقيا إلا أن المسلمين في معظم أنحاء القارة لم ينالوا من التعليم نفس الحظ الذي ناله المسيحيون فيها ن ففي نيجيريا على سبيل المثال كان عدد الطلاب من الشمال المسلم الموجودين في جامعة ابادان عام ١٩٥٩ يبلغ ١٤ طالبا فقط في حين كان عدد الطلاب المسيحيين من الشرق ٣٥٤ طالبا علما بأن تعداد الشمال المسلم يصل إلى ما يقرب ثلاثة أضعاف سكان الإقليم الشرقي المسيحي

لذلك كان عبد الناصر يرى أهمية تعليم المسلمين في أفريقيا وضرورة أن يكون من بينهم الأطباء والمهندسون وخريجو الجامعات

ورغم أن مصر استطاعت بسرعة أن توطد علاقاتها بالجمعيات الإسلامية والطرق الصوفية ومشايخ الإسلام في جميع أنحاء القارة إلا أنها حرصت على أن تبقى هذه العلاقة في نطاقها الديني الثقافي فقط بعيدة عن نشاطنا السياسي ... فعلى سبيل المثال كانت علاقتنا قوية ومثينة بالطريقة التيجانية الواسعة الانتشار في غرب أفريقيا وشيخها إبراهيم انياس الذي كنا نقدم له العون المادي والثقافي قبل استقلال دول غرب أفريقيا وبعد ذلك أيضا ، وكان الشيخ يستقبل في القاهرة بحفاوة وتكريم حتى انه كان في كثير من الأحيان ينزل في أحد قصور الضيافة وكان عبد الناصر يستقبله في منزله كلما حضر إلى القاهرة، في هذا الوقت الذي نعلم فيه أن تعاليم هذه الطائفة الإذعان للسلطة حتى ولو كانت سلطة احتلال ، فقد كان عبد الناصر يقول انه مهما كان ومهما قيل عن هؤلاء المشايخ فهم الذين حفظوا الإسلام ونشروا الثقافة الإسلامية والعربية في هذه المنطق الإفريقية ومن هذا المنطلق كانت مساعدة مصر لهم . وقد زرت بنفسي الشيخ إبراهيم انياس حيث يعيش في مدينة كاواك بالسنغال ورأيت المدارس والجوامع التي تعلم الدين واللغة العربية .

ج - الجوار المسلم وقضايا الحدود المتخلفة عن التقسيم الاستعماري : لقد كان يكفي ما أتينا عليه لتوضيح سياسة عبد الناصر الإسلامية ، لكن من المفيد أن نستكمل بسط هذه السياسة بالإطلاة على استراتيجيته في معالجة قضايا الخلاف الحدودية

وما قد يتصل بها من صراع نتيجة الظلم البالغ الذي اكتنفها وحولها إلى لغم في علاقات الجوار، خصوصا حينما يكون الأمر مع دولة جارة ومسلمة ، والمثال هنا تركيا، والإشكالية لواء الاسكندرونة السوري السليب، والرؤية التي طرحها هنا رؤية جمال عبد الناصر قائد عملية التغيير، وقائد الثورة، ورجل القومية العربية والوحدة العربية.

وبهذا الشأن فقد كان لعبد الناصر موقف دقيق من مسألة حساسة يكشف عن عمق نظرتة للعلاقة بين الأمة وجوارها المسلم ولعمق اثر التاريخ والدين المشترك في صوغ مستقبل هذه العلاقة ، وهو موقف يمكن البناء عليه راهنا ومستقبلا في كل ما يعترض هذه الأمة من مشاكل مع الجوار على اختلاف طبيعة هذا الجوار واختلاف العوامل المشتركة معه،

يذكر سليم اللوزي صاحب مجلة الحوادث في واحدة من افتتاحيات مجلته أن عبد الناصر حينما كان في زيارة لمدينة حلب، عاصمة الشمال السوري ، وهي على بعد عشرات الكيلو مترات مكن لواء الاسكندرونة التي استولت عليه تركيا عام ١٩٣٦ ظلما في صفقة مع فرنسا التي كانت تحتل سوريا وهي صفقة واضحة المعالم يذكرها التاريخ جيدا.

وكان صوت القومية العربية وللوحدة العربية هو الأعلى بعد إنجاز الوحدة السورية المصرية، والصعود الشعبي الهائل لعبد الناصر في العالم العربي عموما وفي سوريا على وجه الخصوص، وكان عبد الناصر ضيفا في تلك الزيارة ١٩٥٨ على بيت أحد رؤسالي حلب حيث لم يكن هناك دار ضيافة للدولة، وفي أمسية ضمت وجوه المدينة الذين جاؤوا مرحبين بزعيم القومية العربية وقائد هذه الأمة يسأل أحد الحضور الرئيس عبد الناصر عن لواء الاسكندرونة، أين هو من الدعوة القومية وقيادتها، وكانت سوريا قد عاشت تهديدا مباشرا من تركيا الأطلسية عام ١٩٥٧ ، وهو تهديد يقول عنه الباحثون أنه كان سببا في الإسراع بتنفيذ الوحدة السورية المصرية، وحسب ما قدر اللوزي فإن السؤال كان يتضمن قدرا من الخبث ومحاولة الإحراج.

ولقد أجاب عبد الناصر على هذا التساؤل دون النظر إلى دوافعه ، أجاب عليه وهو يقدم رؤية شاملة لقضايا الجوار تغطي ساحتها قضية لواء الاسكندرونة وكل قضية مشابهة ،

قال عبد الناصر : إن لواء الاسكندرونة عربي سوري، هذا أمر يشهد به حتى التاريخ الحديث، لكننا ندخل في حرب مع تركيا من أجله، ولنا سبيل آخر في معالجة هذه القضية، إن علينا أن نبني دولتنا العربية القوية المتقدمة والعادلة التي تشع على محيطها وحين يكون لنا ذلك فإن تركيا التي يربطنا بها دين واحد وتاريخ مشترك طويل سوف تكون أمام خيار الانجذاب لنا والتعامل معنا أو القطيعة، ونقدر أنه

سيكون خيار التعاون والتفاعل والمصالح المشتركة هو الخيار وعندها سنتمكن من حل مشكلة اللواء وسيكون الأمر ابسط مما يتوقع الكثيرون

الخلاصة

هذه هي رؤية الناصرية وقائدها للمسألة الدينية ، وهذه هي سياسات جمال عبد الناصر الإسلامية ، أي النابعة من رؤيته الدينية ، وكيف وظف أجهزة الدولة ومؤسساتها لتنفيذ هذه السياسات ، وواضح أنها جميعا تنطلق من رؤية إيمانية من زاوية ، ومن تطلع للتغيير الثوري في المجتمع ، تغيير يقيم العدل والتقدم من زاوية أخرى.

ولقد كان يكفي بسط ما بسطناه، في تأصيل هذه الرؤيا، لننتقل إلى السؤال المهم الذي يتصل بالمستقبل ، وما يجب تعميقه وتطويره من هذه الرؤية ، ولتكون هذه هي الحلقة الثالثة من هذا البحث ، لكن المعارك الفكرية الجارية بين القوى السياسية في هذه المرحلة حول المسألة الدينية وموقعها في المجتمع، والحديث المستمر والمؤتمرات التي تعقد حول العلمانية وحول صلة النظم السياسية العربية الراهنة بهذه المسألة جعلت تناول هذه المسألة من ضرورات إتمام البحث وإغلاق الدوائر المحيطة والمتصلة به ، لذلك جعلت الحلقة الثالثة من هذا البحث تختص بالعلمانية والناصرية ، على أن تكون الحلقة الرابعة تتحدث عن الناصرية والنظام الإسلامي

د. مخلص الصيادي